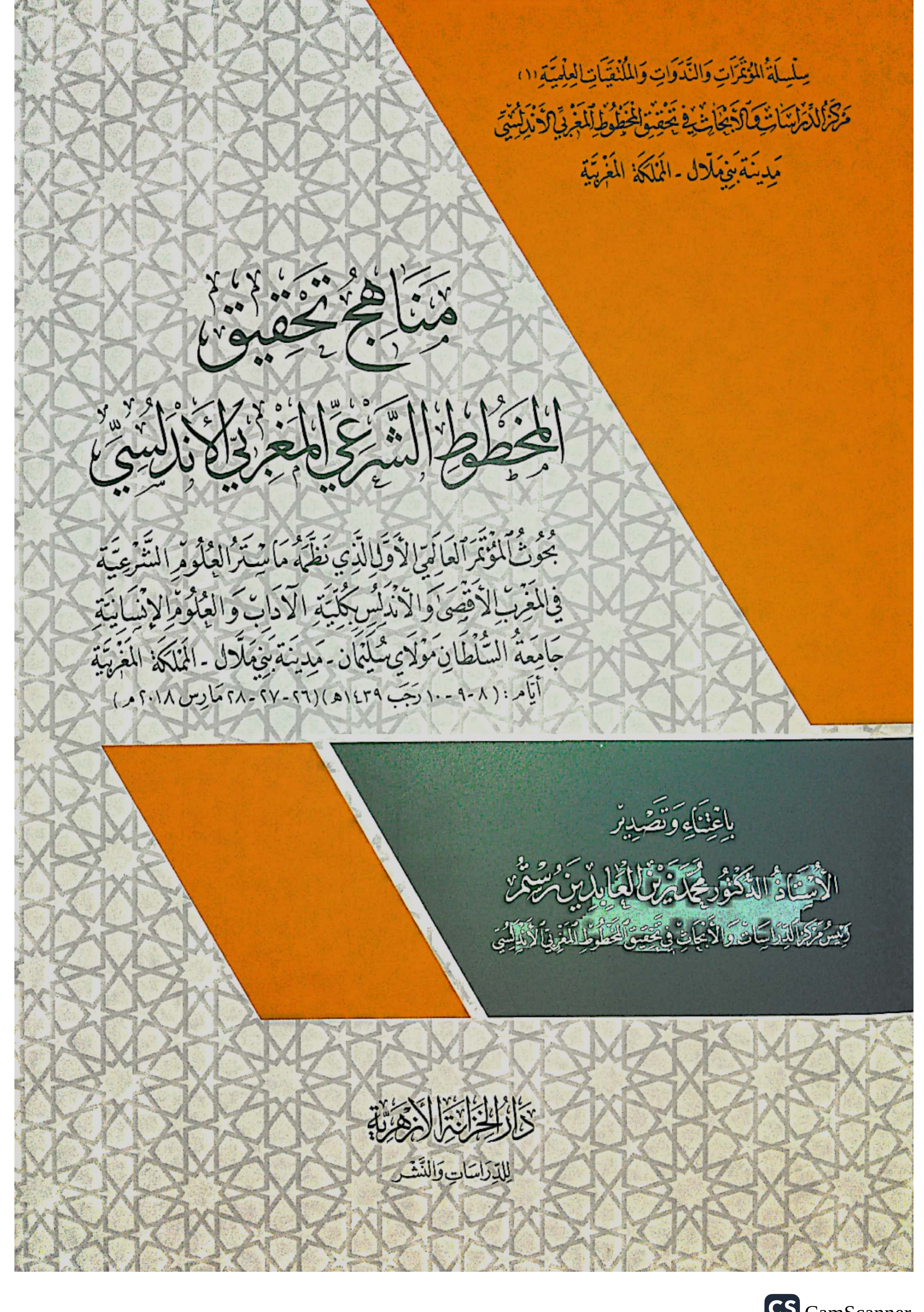

سلسلة المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية (١)
مركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي
مدينة بني ملال - المملكة المغربية
مناهج تحقيق
المخطوط الشرعي المغربي الأندلسي
بحوث المؤتمر العالمي الأول الذي نظمه ماستر العلوم الشرعية
في المغرب الأقصى والأندلس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة السلطان مولاي سليمان - مدينة بني ملال - المملكة المغربية
أيام: (٨-٩-١٠ رجب ١٤٣٩هـ) (٢٦-٢٧-٢٨ مارس ٢٠١٨م)
باعتناء وتصدير
الأستاذ الدكتور محمد زين العابدين رستم
رئيس مركز الدراسات والأبحاث في تحقيق المخطوط المغربي الأندلسي
دار الخزانة الأزهرية
للدراسات والنشر

مكتبة الشيخ سيدي المصطفى الشهير بماء العينين
بين الماضي والحاضر

د/ محمد عالي أمسكين(*)

الحمد للّه وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

يلف موضوع الخزانات والمكتبات الخاصة بالجنوب المغربي -الصحراء المغربية- كثير من الغموض من حيث نشأتها وتطورها ومآلها، رغم أنها تعد على رؤوس الأصابع المشهورة منها والمغمورة، وقد اشتهرت بالمنطقة مكتبات كالمكتبة المجلسية والليلية والمعينية، وخزانة سيبويه وغيرها. ويأتي هذا البحث للتعريف بأشهرها -المكتبة المعينية- وإزالة الغبش عن بعض مواضعها وسيرورتها التاريخية.

لذا، آثرت الحديث في الندوة الدولية العلمية عن هاته المكتبة التي عز وجودها، بعنوان: المكتبة المعينية بين الماضي والحاضر، والتي لم تحظ بكثير اهتمام بين كتب الفهارس والمؤلفات إلّا نادرًا. ودورها الفعال في ازدهار الثقافة المحلية، وتبيان مكانتها محليًا ووطنيا.

ومُجيبا عن بعض الأسئلة، خاصة الأسباب التي أدت إلى ضياعها، وتشتتها بين الأفراد والعائلات، وبين المكتبات الخاصة، والوطنية والدولية؟

أبسط الكلام عن هذا كله، عبر محورين اثنين، تتخللهما مطالب.

المحور الأول: سيرة صاحب المكتبة - ماء العينين - الذاتية والعلمية.

المحور الثاني: مكتبة الشيخ، النشأة، نكبة المكتبة، المؤلفات والمخطوطات، ثم خاتمة.

(*) أستاذ باحث طانطان، المغرب.

المحور الأول: السيرة الذاتية والعليمة لصاحب المكتبة.

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو سيدي المصطفى بن محمد فاضل بن محمد الأمين الملقب: مامين ابن الطالب أخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار بن الحبيب بن علي ابن سيدي محمد بن سيدي يحيى بن علي بن محمد شمس الدين بن يحيى الكبير الملقب قلقم -القلقمي- ينتهي نسبة إلى فاطمة الزهراء بنت رسول صلى اللّه عليه وسلم.

وأمه منَّ بنت المعلوم من الأسرة العلمية ببنده.

اشتهَر الشيخ سيدي المصطفى، بماء العينين حتى ستر اسمه الحقيقي، وهو لقب عرف واشتهر به، بل لا يعرف إلا به عند العامة والخاصة.

قال صاحب الوسيط: «الشيخ ماء العينين هذا علم اشتهر به». وبسبب هذا اللقب أو العلم، وقع خلط كبير ووهم للباحثين والدارسين في ترجمة ماء العينين. فترك إِسمه الحقيقي، وسُمي بلقبه أو باسم أبيه.

فاسم الشيخ ماء العينين، هو سيدي المصطفى، كما أثبت ذلك حفيده الطالب أخيار في كتابه: الشيخ ماء العينين علماء و أمراء، و كما ذكره صاحب الوسيط أيضا، وصاحب إتحاف المطالع. وأيضا المؤرخ ابن سوده حيث قال: «الشيخ مصطفى المدعو ماء العينين».

ولقد سماه والده محمد فاضل، تيمّنًا باسم شيخه سيدي المصطفى بن عثمان بن محمد الكيحل.

وهذا التيه في اسم الشيخ ماء العينين جاء -واللّه أعلم- من كثرة

التداول وغلبة لقبه ماء العينين على الاسم الحقيقي سيدي المصطفى، لهذا نجد في الرسائل السلطانية، مثلا في رسالة السلطان مولاي الحسن الأول، الذي عينه فيها خليفة على أيت باعمران و الصحراء و غيرها من المناطق، سماه في هذه الرسالة باسم أبيه فقال: «استولينا بحول اللّه وقوته. . . الفقيه السيد محمد بن فاضل ما العينين السوسي الصحراوي».

أما باقي الرسائل السلطانية فكان يسميه بلقبه ماء العينين. ليتضح من هذا أنّ اسم ماء العينين الحقيقي كان مغمورًا. . . بل غير معلوم إلا عند الخاصة من الأقارب فقط دون غيرهم، ونظرًا لمرتبة الشيخ و مكانته، فلم يكن ليسأل عن إسمه.

وأما الأسماء التي يكثر ذكرها و تداولها بين المؤلفين والدارسين: محمد المصطفى، وهو الأكثر شهرة بينهم، كما جاء عند عباس الجراري في ثقافة الصحراء: «الشيخ ماء العينين محمد المصطفى». و هو مركب من إسم محمد و اسم المصطفى، ومحمد المصطفى هذا هو في الحقيقة أحد أبناء الشيخ محمد فاضل كما ذكر الطالب أخيار بقوله: «وليس محمد المصطفى كما هو الشائع عند الناس، فمحمد المصطفى هو أحد إخوته».

أما الطائفة الأخرى من الباحثين فتذكره باسم المصطفى كما فعل صاحب كتاب: تندوف وتجاكنت، عند ذكره لأصحاب الشيخ بلعمش فقال: «أصحابه: الشيخ سيدي ماء العينين مصطفى بن محمد فاضل بن مامين الشنقيطي القلقمي». ومحقق كتاب العقائد الست والستين للشيخ ماء العينين بقوله: «واسمه الحقيقي مصطفى بن محمد بن محمد فاضل المكني أبا عبد اللّه».

أما المؤلفون الأجانب فلم يسلموا من الوهم والخلط في اسم ماء العينين فنجد مثلا توماس فيغيراس ت١٩٨١م، الذي تكلم عن الشيخ ماء العينين كأحد أبناء الشيخ محمد فاضل حيث ذكر أنه أنجب ٣٢ ولدا بقوله: «أنجب اثنين وثلاثين ولدًا من أشهرهم مولاي أحمد بن محمد الشنقيطي المعروف أكثر بلقب ماء العينين الذي ولد سنة ١٨٣٨م».

وقد تفطن إلى هذا الخطإ محقق كتاب دليل الرفاق فقال: «الشيخ ماء العينين عَلَمٌ انتسب إليه، واشتَهَرَ عند كافة أهل العلم و المعرفة في زمانه، وخاصة أهالي الصحراء المغربية، ولا عند غيرهم من أهالي المغرب عموما مدة حياته وبعد وفاته».

لكن عند ذكره اسمه الحقيقي قال: «أما إِسمه الحقيقي فهو محمد مصطفى ابن الشيخ محمد فاضل». فوقع هو أيضا في الخطإ نفسه.

أمّا كناه فمنها أبو محمد وأبو عبد اللّٰه،

وقد لا يميز البعض بين الاسم واللقب، كما جاء في معجم المؤلفين المعاصرين: «يرد اسمه ماء العينين، والشيخ ماء العينين، ومحمد بن فاضل، ومحمد المصطفى بن محمد فاضل، وابن محمد فاضل، وهو محمد المصطفى الملقب بالشيخ ماء العينين بن محمد فاضل، وغلب عليه اسمه فأثبتاه».

المطلب الثاني: مولده وموطنه.

ولد الشيخ العالم سيدي المصطفى بن محمد فاضل بالحوض الشرقي بموريتانيا حاليًا، يوم الثلاثاء ٢٧ شعبان ١٢٤٦هـ، الموافق ١٠ فبراير ١٨٣١م.

المطلب الأول: طلبه للعلم وثناء العلماء عليه وصفاته.

يعد الشيخ سيدي المصطفى ماء العينين علمًا من أعلام الصحراء الكبار، و أشهر من نار على علم كما يقال، طبقت شهرته الآفاق بعلمه وجهاده وأخلاقه، وتربيته وسلوكه.

نَشأ وتربى كما ينشأ غلمان ذلك الزمان، فأخذ العلوم الأولية عن والده الشيخ المشهور محمد فاضل بن مامينا، فتربى في حضنه، ولازمه في التربية والتكوين والتعليم، ونبغ سيدي المصطفى نُبوغًا مُبكرًا في التحصيل.

قال عنه صاحب الوسيط: «هو العلامة الوحيد له معرفة بعلوم الشرائع».

وقال عنه أيضا: «وكان هذا الشيخ فاضلا كريمًا لا يوجد أحسن منه أخلاقًا». ووصفه السلطان الحسن الأول بالفقيه، فقال: «وأن الفقيه الشريف المذكور استوليناه عليهم». كما وصفه بالشيخ الفاضل البركة بقوله أيضا: «محبنا الشيخ البركة الخير ماء العينين». وقال عنه صاحب إتحاف المطالع: «الشيخ الشهير والمُربّي الكبير».

لقد شاع ذكر الشيخ ماء العينين بين المريدين و الطلبة، وأهل العلم والفضل، حيث قال ابن مخلوف في الشجرة: «الشيخ الشهير القدوة الكبير من ظهر ظهور الشمس العلامة المشارك».

ولم تظهر مكانة سيدي المصطفى ماء العينين بين مريديه والطلبة، بل بين العلماء والفقهاء حيث أجازهم فاستجازه، منهم الشيخ المهدي الوزاني..

كما اهتم كثير من العلماء و المؤرخين بالشيخ ماء العينين، ترجمة له، و ذكرًا لأخباره ومراحل حياته، كالعلامة المؤرخ المختار السوسي في كتابه

المعسول، حيث خَصّص جزءًا كاملًا له ولأسرته، و يُعد مادةً خصبة للباحث في مختلف مناحي حياته، وذكر في بداية ترجمته له، أسبابًا خمسة جعلت من هذا الرجل أَيقُونة زمانه. نذكر منها تسلسله في الأُسرة العلمية، وتضلعه في العلوم، ومشيخته الصوفية.

ويصعبُ استقصاء مناقب الرجل، وثناء العلماء والساسة وأهل الفضل عليه، ويكفي أنْ نُؤكد أنّ خصاله طيبة، وفضائله حسنة، ومكارمه جمّة، تطايرت بها الرّكبان، فحاز قصبَ السّبق في ذلك.

المطلب الثاني: شيوخه

لم تسعفني المادة العلمية في معرفة الكثير عن مرحلة طلب الشيخ سيدي المصطفى ماء العينين، ولم تبدأ المعلومات بشكل وفير تظهر، إلا في رحلته إلى الحج سنة ١٢٧٤هـ، لكن المعروف أنّ البادية الصحراوية آنذاك والشنقيطية خصوصا، تعرف نشاطًا معرفيًا و ثقافيًا حيويًا. وقد يكون الشيخ ماء العينين تتلمذ على يد شيوخ في التعليم والقراءة وغيرها. أسهمت في صقل مواهبه، وتعدد معارفه وعلومه. ومن هؤلاء الشيوخ، أبوه محمد فاضل.

- محمد فاضل بن مامين القلقي، هو الشيخ العلامة أحد الأقطاب المشهورين في شنقيط قديمًا، المولود سنة ١٧٨٠م بالحوض الشرقي، ويعد محمد فاضل من رواد الطريقة الفاضلية وإليه تنسب، وهي شعبة من القادرية. ثم انتقل بعد ذلك إلى شمال شنقيط بقرية اجريف، وأسهم أولاده في حمل لواء الطريقة الفاضلية ونشرها في الصحراء الكبرى، من صحراء المغرب شمالًا من قبل الشيخ ماء العينين، إلى أقاصي الشرق سُودانًا من قبل الشيخ سيد الخير، وتخوم الجنوب سنيغالًا من قبل الشيخ سَعد أبيه.

ولقد كان سيدي المصطفى أكثر ملازمة لأبيه تربية وتعليما. وهاته العلاقة، بين الأب مع الابن علاقة متينة تظهر بعض ملامحها في كون الشيخ محمد فاضل سمى ابنه ماء العينين باسم شيخه سيدي المصطفى بن عثمان الكيحل، كما أن نبوغ ماء العينين وتفطنه، مكناه من هذه الملازمة والعلاقة مع أبيه، فقد سئل محمد فاضل عن كنه إرسال ماء العينين إلى الشمال وهم أقل البلاد علما واهتماما بالمعرفة، وإرسال سيد الخير إلى القبلة وهم الأكثر ولعًا وشغفًا بالعلم، فأجاب: «لِيُعلم الأول أهل الشمال، ويتعلم الثاني من أهل القبلة» وهذا إقرار بنبوغ ولده.

وترك محمد فاضل بعض الكتب منها مجموعة من النوازل والفتاوي المتميزة بالاجتهاد، وتوفي الشيخ محمد فاضل ١٠ محرم ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م عن عمر يناهز ٧٥ سنة.

- عبد الباقي بن أحمد بن اعلي مولود المسومي، الذي أخذ عنه القرآن برواية ورش وهو ابن عشر سنين وبالقراءات السبع، وأجازه في ذلك.

محمد فاضل بن الحبيب اليعقوبي أخذ عنه بعض الأبواب من مختصر خليل، وبعض النصوص الفقهية الأخرى.

المطلب الثالث: تلاميذه

إن المكانة العالية التي حظي بها سيدي المصطفى ماء العينين، جعلته قبلة لأصناف الناس، وأطيافهم من المريدين، وطلاب العلم، وأهل العلم، فحرصوا على التبرك به، والسماع منه والأخذ عنه. ولن أستقصي في ذكر تلاميذه، بل سأحاول ذكر مشاهيرهم.

ومن تلاميذه:

● **أمير أدرار المجاهد الشهيد سيد أحمد بن سيدي أحمد بن عيده،** المولود سنة ١٩٠٤م فقد مكث عند شيخه ماء العينين خمس سنوات، وكان مجاهدا مغوارًا دفاعا عن أرضه ومنطقته، وتوفي ١٩ مارس ١٩٣٢م.

● **أحمد بن الخياط:** المعمر أحمد بن محمد بن عمر الزكاري الحسني الشهير بابن الخياط، شيخ الجماعة ورئيس المجلس العلمي بفاس في عصره.

أجازه **الشيخ ماء العينين**، وسمع منه الكثير من العلوم، وغيرها من سائر أوراد الشيوخ رضي اللَّه عنهم، كما يذكر ذلك في فهرسته الصغرى وتوفي رحمه اللَّه يوم الاثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٤٣هـ/ ٨ أبريل ١٩٢٤م، ودفن بروضة في حي الرميلة في عدوة فاس الأندلس.

● **محمد بن عبد العزيز الصحراوي** هو القاضي الفقيه محمد بنُ عبد العزيز بنِ ابراهيم بنِ احمد بن حَامِّنِي الشنقيطي. ولد الفقيه سنة ١٢٨٤هـ الموافق ١٨٧٦م بشنقيط، و قد لازم الشيخ ماء العينين مدةً طويلةً وأخذ عنه واستجازه الشيخ بمدينة السمارة، وتوفي يوم الثلاثاء ١٠ذي القَعْدة ١٣٧٥هـ الموافق ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٦م.

❊ **المطلب الثالث: وفاته.**

❊ بعد حياة حافلة بالكفاح والنضال بالقلم والسيف، ملؤها العلم والتربية والتعليم، توفي الشيخ المجاهد سيدي المصطفى منتصف ليلة الثلاثاء ٢١ شوال سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٠م، عن سن

تناهز ٧٩ سنة، بمدينة تزنيت بالسوس الأقصى وسط المغرب. وقد ذكر الأديب والقاضي أبو بكر بن مربيه ربه ولادته ووفاته، في قصيدة مطلعها:

الحمد للّه صلاة اللّه على محمد رسول اللّه

وبعد إن شئت تفوز بحصول طُلوع شمس شيخنا مع الأفول

دونك رمزه محررًا بما رَوَيته عن الثقات العلما

فشمسه قد طلعت بالمغرب في عام رومش ندا نفسا طبي

يوم الثلاثاء مقيلًا قد ولد في كَزٍّ شعبان ونعم من ولد

أما أفولُ شمسه في حَكْشَسٍ ليل الثلاثاء ظلام الحندس

في أك شوال انتصاف الليل كما ضبطته فثق بقولي

المحـــور الثاني: مكتبة الشيخ مـــاء العينين

المطلب الأول: النشأة

إنّ المكتبة الوحيدة التي جابت الصحراء وأصقاع سوس، وكان لها فروع فيه، مكتبة الشيخ المجاهد ماء العينين. ففي الحقيقة مكتبة عظيمة لا تضاهيها مكتبة في الجنوب المغربي نفاسة وحجما، فالمكتبة الأم هي التي حطت الرحال بمدينة السمارة، وكبرت وانتشرت وسط ذاك الحشد الهائل من العلماء والفقهاء وطلاب العلم، الذين كانوا ينهلون منها بشغف كبير، فقد احتوت هاته الخزانة على أزيد من عشرة آلاف كتاب، موزعة على جميع الفنون في مختلف المجالات.

وبعد قراءة في الموضوع، توصلت إلى أهم الأسباب التي كانت أعمدة

في بناء هاته الخزانة العجيبة في منطقة قاحلة كالصحراء هي كالآتي:

- أن الشيخ ماء العينين من أسرة علمية توارثت بعضًا من ذلك.
- كونه مولعًا بالقراءة والتأليف، وما يتطلب ذلك من بحث وتقميش عن الكتاب ونسخه. يقول الشيخ محمد العاقب بن مايابي: كان شيخنا متعلق الخاطر بالكتب باحثا عنها ساعيا في جمعها، فكان يشتري منها الأحمال الثقيلة بالأعداد الكثيرة من الإبل في يوم واحد».
- رحلته إلى الحج، وزيارته لبعض المراكز العلمية كمصر، واقتناء الكتب منها.
- رحلاته المتكررة إلى المدن العلمية بالمغرب، كمراكش وفاس وغيرهما. قال محمد العاقب: «لا يكاد يدخل قرية ولا يحل محلة، إلا وأرسل إلى ما فيها من الكتب شيئا فشيئا، حتى يستكمل جميع ما في ذلك المحل منها، ويستفيد ما تضمنته من العلوم والفوائد».
- هدايا الكتب من قبل سلاطين المغرب.
- موهبته الفذة في النظم والشرح، والتعليق بالحواشي المختلفة على مهمات المصادر في مختلف الفنون والمجالات.

كما أثراها بمؤلفاته العديدة، قال ابنه مربيه رب: «وقد ألف كثيرًا من الكتب في ريعان شبابه وأثناء جولاته، وربما بقي بعضها في المكان الذي ألفت فيه، وبعضها يأخذه بعض من رافقه من تلاميذه».

المطلب الثاني: قيمة المكتبة

لم يكن يضاهي مكتبة الشيخ ماء العينين في هذا الصقع إلا مكتبة آل بلعمش بتندوف، أو مكتبة تمكديشت بالصقع السوسي، كما قال المنوزي

السوسي، رغم أنّه لم ير منها، سوى ما تبقى من مكتبة الأم بتزنيت، قال المانوزي: «ومن المكتبات الضخمة، مكتبة الشيخ ماء العينين بن مامين القلقمي الصحراوي دفين تزنيت، فإنها مكتبة عظيمة لا تقل عن مكتبة تيمكيديشت».

إنّ الحديث عن قيمة المكتبة التي كانت مضرب الأمثال، أمر تقصر عنه الأقلام، لما يوجد في هذه الخزانة من الأسفار النفيسة، والذخائر الفريدة، والمجلدات العجيبة، والأعلاق الغريبة. وحسبي في هذا السياق ذكر بعض النتف من الشهادات على ذلك، ذكر اشبيهنا ماء العينين عندما زار زاوية عبدالله المريني بوادي درعة سنة ١٣٣٥هـ «. . . . . ومما عند شيخنا -يقصد الشيخ ماء العينين- تفسير فيه ثلاث مئة مجلد،وكتاب في الحديث أربعون مجلدًا، وتفسير ليس فيه حرف معجم».

وهذا ما يؤكده المنوزي بوصف حالتها من الخطوط الجلية فقال: «وقد اطلعت على معظم خزانتهم هذه، ورأيت فيها من الخطوط الصحراوية والشنكيطية والسوسية والسودانية والفاسية والمكناسية والتونسية والمصرية والمشرقية ما عز وجوده ونظيره».

ولا شك أنّ ماء العينين، بَذلَ مجهودًا كبيرًا في تحصيل المكتبة، من ماله ووقته وعلمه وفكره، الى أن صيرها مكتبة عز وجودها بالصقع الحبيب، ولم تمخض كثبان الصحراء مثلها إلى الآن، قال المختار السوسي: «وتجمعت له أعظم خزانة صحراوية».

وفي سياق حديثه عن المكتبات الخاصة، قال شوقي بنبين: «وأعظم خزانة عرفت في هذه المنطقة، كانت هي خزانة كتب الشيخ ماء العينين في تزنيت».

ونختم هذه الفقرة بقول محمد العاقب عن مكتبة شيخه: «... حتى انتخب من صحاح الكتب ما لا يكاد يحويه أحد في ملكه».

المطلب الثالث: نكبة المكتبة

يؤسف الباحث أن يتحدث في هذه النقطة، عن مكتبة كان لها أصول وفروع، وسارت بذكرها الركبان، آل مآلها إلى ما نحن بصدد ذكره، أسهم في نكبتها العدو الغاشم، والجهل القاتل.

إنّ هاته المكتبة العظيمة اندثرت، وتبدد وجودها، ولم يبق لها كثير أثر إلاّ النزر القليل. وهناك عوامل، منها أسباب طبيعية وبشرية، أدت إلى هاته الحالة وهي:

- إحراق المكتبة وإتلافها من قبل المستعمر الفرنسي، ذكر الطالب أخيار عند حديثه عن الهجوم الذي قام العقيد الفرنسي موريه على قلعة السمارة سنة ١٩١٣م، ونهبوا ما فيها من الأثاث ما نصه: وأخرجوا كميات هائلة من الكتب المجلدة أفخر تجليد، وأحرقوا أوراقها، واتخذ الجنود وأعوانهم من جلود الكتب نِعالا لهم، وألبَادًا لرحالهم، وما سلم من الحرق ألقوا أكثره في وادي السمارة».

وسرقت المكتبة من قبل المستعمر الإسباني، قال الطالب أخيار: «وسرقوا منها قدر شاحنتين كبيرتين كما ثبت لدينا بالتواتر». إنّ ما فعله المستعمر، قد يكون كافيا لمحو آثار هاته الخزانة الأم، وقد تواترت الأخبار، كيف تَفَنن الجنود في الفتك بهاته المكتبة، ويكفي أنْ نُشير أنّ واد الساقية الحمراء الذي يبلغ عرضه ٧ كلمترات، كانت تغطيه أوراق الكتب من كل جانب.

- نهب الخزانة والعبث بذخائرها، من قبل المريدين وعوام الناس، بعد وفاة الشيخ ماء العينين بتزنيت، وهي فرع لخزانة الأم بالسمارة.

- تشتت الخزانة بين أفراد العائلة المعينية والأقارب، وغيرها من المكتبات الخاصة في الصقع السوسي.

قال المختار السوسي: «ثم جالت الأيدي أيضا في الودائع، فتبعثر من المتاع والنفائس والكتب ما كان عامرًا للأسواق زمنا غير قليل، ولم تبق خزانة لم تدخلها كتب ماء العينين في سوس كله، فكانت مصيبة مزدوجة، مصيبة النهب، ومصيبة تمزق تلك الخزانة النفيسة التي جمعها الشيخ ماء العينين وأجداده في قرون، ثم حافظوا عليها».

- كثرة تنقلات الشيخ ماء العينين وترحاله، قال ابنه مربيه ربه: «وقد ألف كثيرا من الكتب . . . . وربما بقي بعضها في المكان الذي ألفت فيه، وبعضها يأخذه بعض من رافقه من تلاميذه، فكان من بين الأسباب التي ضاع عن طريقها جُل تأليفه».

ولقد قدر لهاته المكتبة العظيمة التي جالت بقاع الصحراء وسوس، أن تنتهك فيها حرمة الكتاب، وتصبح أثرًا بعد عَين، وأن تستقر بعض أجزائها في خزائن الصحراء وسوس الخاصة والعامة، منها خزانة الشيخ لارباس محمد لغظف بالعيون بالجنوب، التي لازالت تحتفل ببعض نوادر هاته المكتبة، وبعضها الآخر، أصبح من روافد المكتبة العامة بالرباط. وبعضها وصل إلى المكتبات الدولية. قال صاحب المعسول: «وأغنت المكتبة العامة بعدد من المكتبات الخاصة من مثل مكتبة ماء العينين».

ولقد كانت بعض المحاولات الجادة لإنقاذ ما تبقي من الخزانة، من قبل أحد أصدقاء الشيخ أحمد الهيبة، وهو الفقيه والباحث المانوزي الذي حاول جمع عشرة أحمال من بغال من المكتبة، وقيد منها ما يربو على ٤٠٠ كتاب بمباركة قيم زواية تمكديشت السيد الهاشمي بن الحنفي، كما حاول تمليكها وتوقيفها على الخزانة التمكديشتية باستصدار فتوى في ذلك، ولقد أفلح في ذلك، خصوصا بعد أن رضي بذلك أحمد الهيبة وملّكه إياها.

المطلب الرابع: مؤلفات الشيخ ماء العينين

خلف الشيخ العالم سيدي المصطفى ماء العينين تركة غنية من مؤلفاته، في مختلف الفنون: كالفقه، والعقيدة، والحديث، والتفسير، واللغة والأدب وفنونهما، والطب والتصوف، والسيرة. وقد أوصل بعضهم مؤلفاته إلى ٤٠٠ مؤلفًا، بل تجاوزه بعضهم إلى ١٠٠٠ كتاب، وهذا الأخير مبالغ فيه كثيرًا.

ولقد ذكر له المؤلف الانجليزي طوني هودجز ٣١٤ كتابًا، ونبه الخليل النحوي في كتابه أنّ له أكثر ١٢٥ كتابًا، أما محقق كتاب دليل الرفاق فقد أحصى له ١٠٠ مؤلف، وذكر له شبيهنا حمداتي ماء العينين ٨٤ كتابا.

وقُمت بِجرد ١٢٣ مؤلفًا له، ما بين مطبوع ومخطوط، من خلال بعض معاجم الكتب.

لاشك أن قلم الشيخ كان سيّالًا في فن الكتابة، وأنّ ما ألفه ضاع منه الكثير قال ابنه مربيه ربه: «وقد ألف كثيرا من الكتب في ريعان شبابه وأثناء جولاته، وربما بقي بعضها في المكان الذي ألفت فيه، وبعضها يأخذه

بعض من رافقه من تلاميذه، فكان من بين الأسباب التي ضاع عن طريقها جُل تأليفه».

وذكر عباس الجراري في ثقافة الصحراء، طائفة من مؤلفات الشيخ ماء العينين، نسبها إلى أعلام أربعة: الشيخ ماء العينين، ومحمد بن فاضل، ومحمد المصطفى بن محمد فاضل، وابن محمد فاضل، وهذه الأسماء كلها راجعة إلى اسم واحد هو الشيخ ماء العينين سيدي المصطفى بن محمد فاضل.

وقد طبعت ثلة من مؤلفات الشيخ ماء العينين بعضها حجرية بالمغرب ومصر قديمًا، وأعيد طبع بعضها حديثا بتحقيق طفيف، وسأقتصر على المطبوع منها والمخطوط مع التنبيه على المحقق منها.

أولًا: المطبوعة.

- ١- دليل الرفاق على شمس الاتفاق: وهو من أوسع مؤلفاته وأضخمها طبع مطبعة حجرية بفاس، وأعيد طبعه في ثلاثة أجزاء بتحقيق البلعمشى أحمد يكن باشتراك بين دولة الإمارات والمملكة المغربية سنة ١٩٨٥م.
- ٢- نعت البدايات وتوصيف النهايات: طبع بفاس مطبعة حجرية، وأعادت دار الكتب العلمية لبنان بضبط: خليل المنصوري.
- ٣- مفيد الراوي على أني مخاو: تحقيق محمد الظريف مطبعة المعارف الرباط.
- ٤- مذهب المخوف على دعوات الحروف: المطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣٥٦هـ. وأعيد طبعه بالمكتبة الازهرية للتراث سنة ٢٠٠٦م.
- ٥- تبين الغُموض على نعت العروض: تعليق محمد عيناق طبع مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي.

- ٦- **الأقدس من على الأنفس**، طبعة حجرية. وأعيد طبعه تحقيق محمد ابن أحمد رفيق بدار الرشاد الحديثة الدار البيضاء سنة ٢٠١٥م.
- ٧- **المرافق على الموافق**: طبع هذا الكتاب قديما و أعيد طبعه بعناية أبي عبيدة مشهور. . . . في جزأين دار ابن القيم ٢٠٠٣.
- ٨- **فاتق الرتق على راتق الفتق**: مراجعة مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٦م.
- ٩- **ثمار المزهر**: مطبعة أحمد يمنى فاس سنة ١٣٢٤هـ.
- ١٠- **الإيضاح لبعض الاصطلاح**: مكتبة تطوان طبعة حجرية فاس، وأعيد طبعه بالمكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٨م ضمن مجموع، وحققه محمد ظريف نشر بمؤسسة مربيه ربه لأحياء التراث.
- ١١- **كتاب الصلات في فضائل بعض الصلوات**: مطبعة حجرية.
- ١٢- **منتخب التصوف**: مطبعة حجرية فاس، وأعيد طبعها بالمكتبة الازهرية سنة ٢٠٠٨م.
- ١٣- **مبصر التشوف على منتخب التصوف**: مطبعة حجرية فاس.
- ١٤- **مظهر الدلالات - المقصود من ألفاظ التحيات**: مطبعة حجرية فاس.
- ١٥- **سيف الكبت للمعترض لنا في الصلاة في أول الوقت**: مطبعة حجرية فاس.
- ١٦- **نصيحة النساء**: مطبعة حجرية فاس.

- ١٧- مفيد النساء والرجال: مطبعة حجرية فاس.
- ١٨- مفيد السامع والمتكلم في أحكام التيمم والمتيمم: مطبعة حجرية فاس.
- ١٩- الخلاص في حقيقة الإخلاص: مطبعة حجرية مطبعة حجرية فاس.
- ٢٠- مزيلة النكد عمن لا يحب الحسد: مطبعة حجرية فاس، وطبع بمنشورات الشيخ ماء العينين محمد بويا.
- ٢١- قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين: مطبعة حجرية فاس.
- ٢٢- هداية المبتدئين في النحو: مطبعة حجرية فاس.
- ٢٣- مجمع الدرر في التوسل بالأسماء والآيات والسور: مطبعة حجرية فاس.
- ٢٤- سهل المرتقى في الحض على التقى: مطبعة حجرية فاس، وأعيد طبعها بالمكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٨م.
- ٢٥- سيف المجادل للقطب الكامل: مطبعة حجرية فاس.
- ٢٦- منظومة في ألفاظ حققها صاحب القاموس: مطبعة حجرية.
- ٢٧- منظومة في العقائد: مطبعة حجرية فاس.
- ٢٨- الكبريت الأحمر في التصوف: مطبعة حجرية فاس، وأعيد طبعها بالمكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٨م.
- ٢٩- منظومة في البروج وكيفيتها مع المنازل: مطبعة حجرية فاس.
- ٣٠- ضوء الدهور في علم الحساب والفلك: مطبعة حجرية فاس.
- ٣١- السيف والموسى على قضية الخضر وموسى، طبع بالمكتبة الأزهرية للتراث مصر سنة ٢٠٠٨م. وطبع بتحقيق محمد الظريف.

- ٣٢- العقائد الست والستين، دراسة وتحقيق د عبد العزيز حليم، مطبعة المعارف الرباط ٢٠١٤م.
- ٣٣- صلة المترحم في الحث على صلة الرحم، طبعة حجرية، وقد حقق بمركز الدراسات والأبحاث التابع للرابطة المحمدية للعلماء.
- ٣٤- منيل النبش فيمن يظلهم اللّٰه بظل العرش، طبعة حجرية.
- ٣٥- مفيد الحاضرة والبادية في شرح الأبيات الثمانية، طبعة حجرية.
- ٣٦- إظهار الطريق، المشتهر على قصيدة اسمع ولا تغترر، طبعة حجرية، وطبع مؤخرا بتحقيق بسام بارود.
- ٣٧- رحلته الحجازية طبعت بتحقيق مربيه ربه أحمد الهيبة.
- ٤٨- هداية من حارا في أمر النصارى، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث.
- ٤٩- تبيان الحق الذي للباطل سحق، طبعة حجرية.
- ٥٠- تفسير الفاتحة، طبعة حجرية.
- ٥١- التميم في أمر اليتيم، طبعة حجرية.
- ٥٢- الصلات في فضل الصلوت، طبعة حجرية.
- ٥٣- تنوير السعيد شرح نظم المفيد في العام والخاص، تحقيق محمد بن أحمد رفيق دار الرشاد الحديثية المغرب ٢٠١٥م.
- ٥٤- مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع، طبعة حجرية.

- **٥٥- إبراز اللئالي المكنونات من الأسماء الظاهرات والمضمرات**، طبعة حجرية بفاس.
- **٥٦ - المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية طبعة حجرية**، وطبع بدار الكتب العلمية تحقيق أنس أمين ط١ سنة ٢٠١٥.

هذه ستون كتابًا إلا أربع، من مؤلفات ماء العينين المطبوعة الحجرية والعصرية منها، حاولت تتبعها من مختلف المعاجم والكتب والمكتبات.

ثانيًا: المخطوطات

- **اللؤلؤ المحوز الجامع مافي الجامع الصغير والراموز**، في ثلاثة أجزاء توجد منه نسخة في مكتبة الشيخ لارباس محمد لغظف بالعيون.
- **كفاية النبيه في فرض العين**، توجد منه نسخة في خزانة الطالب أخيار.
- **المحققة في أخبار الخرقة**، توجد منه نسخة في خزانة الطالب أخيار.
- **يانع الاستفادة وهو نظم فريد في الحكم**، توجد منه نسخة في خزانة الطالب أخيار
- **كتاب النصيحات لمن ترتدع من المسلمات**
- **ياقوته البلدان في فن البيان وشرحها**
- **سراج الفتيان على ياقوتة البلدان**
- **سيف نصر الأولياء**
- **شهية السماع**

- سلم الإعراب
- التوسل بأسماء اللّه الحسنى
- تبين السعد والنحس من الحروف والمنازل
- تأليف في صالحات النساء وعكسهن
- أدب المريد
- اختصار شمس الاتفاق
- المناضل في كل فج لمن يقول بلزوم شرط أجمْجْ،

هذا غيض من فيض من كتب الشيخ ماء العينين، المخطوطة والمطبوعة، التي وصلت إليها حسب ما توافر لدي من مادة علمية، ولا شك أنه بالتتبع والاستقراء، سنصل إلى أكثر منها بكثير، وحسبي من البحث المقتضب إلا التفاته، ونفثة مصدور إلى هاته المكتبة التي كانت تزخر بها تُربتنا الصحراوية، التي كانت تشكل علقا نفيسا، ووردًا عظيمًا، يربط هاته البلاد بجميع أصقاعه وأقاليمه، وأن الأرض لم تكن أبدا أرض خلاء، بل أرض عامرة بقباب العلم والعلماء.

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ أول من عمّر هاته الديار- إقليم الساقية الحمراء - بالعمران وخصص فيها جناحا للمكتبة والمطالعة، هو الشيخ ماء العينين بقلعته بالسِّمارة.

وختاما أقول:

لو كتب اللّه البقاء للشيخ ماء العينين بمدينة الصمارة، لكانت الآن

تضاهي بعض المدن العلمية العتيقة بالصحراء كشنقيط وتنمبكتو وغيرهما. ولحقق نهضة علمية مزدهرة بمنطقة الساقية الحمراء عُموما.

وهذا ما تفطن له المختار السوسي بقوله: «فلولا أنّ اللّه أعقب بالشتات ذلك الجمع العظيم من أصحابه، وتلك الخزانة الهائلة التي يصاحبها معه في تنقلاته، لكان لذلك تأثير عظيم بعده».

إنَّ هذه المكتبة تبين المجهود الفكري، والثقافي، والفقهي، والأصولي... للشيخ ماء العينين. وتبين لنا بالملموس، مدى ثراء مكتبته وخزانته، الغنية بمؤلفات في مجالات متعددة.

ملحق صور المخطوطات والمطبوعات الحجرية والعصرية

M al-Ainain: Kitb f m a f ilat ar-ra ma min al-ad

Gunaif, as-Šai Mu mmad al-Mamu b. as-Šai Sad Ahh

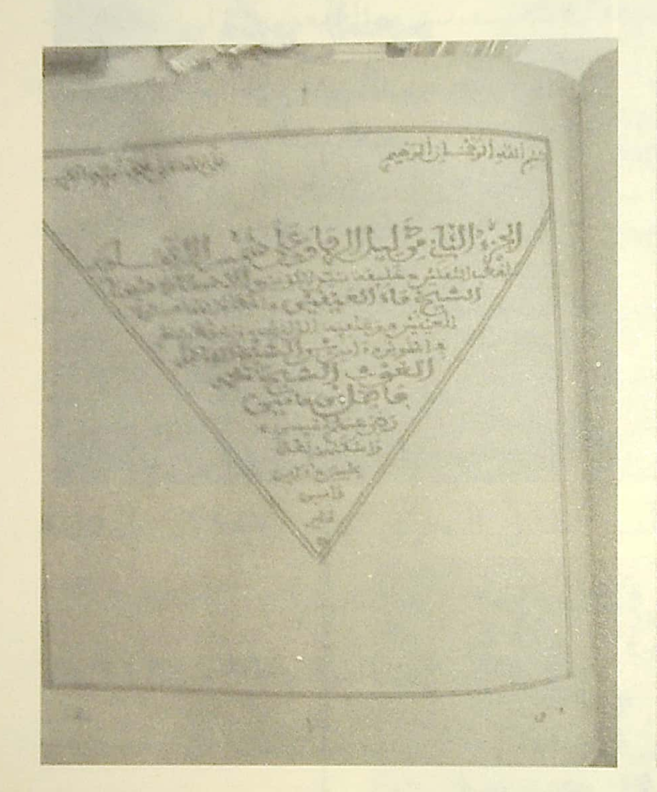
Seite 28

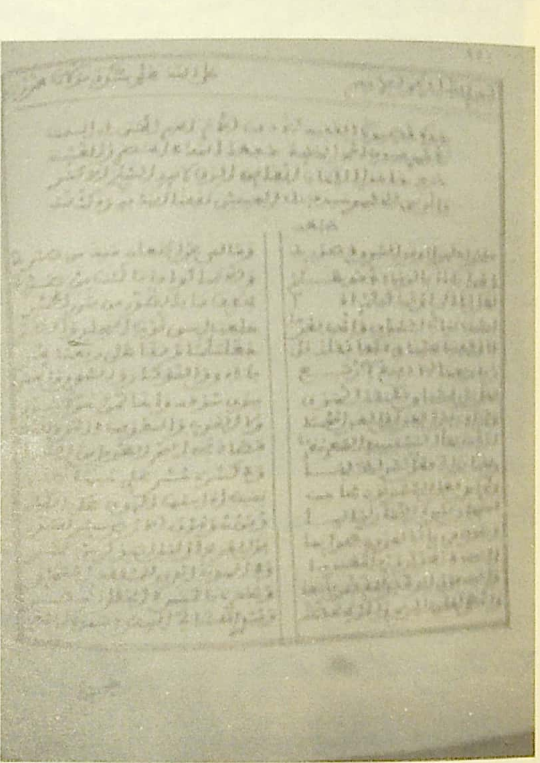
gefördert durch die DFG

http://dl.ub.uni-freiburg.de/omar/mfmau2049/0028

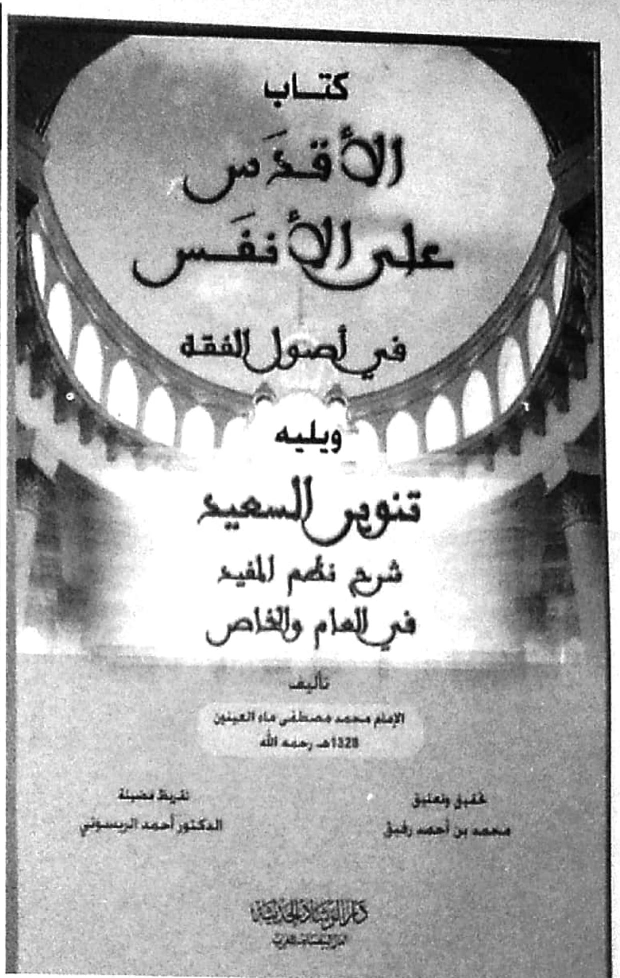
© Orientalisches Seminar der Universität Freiburg

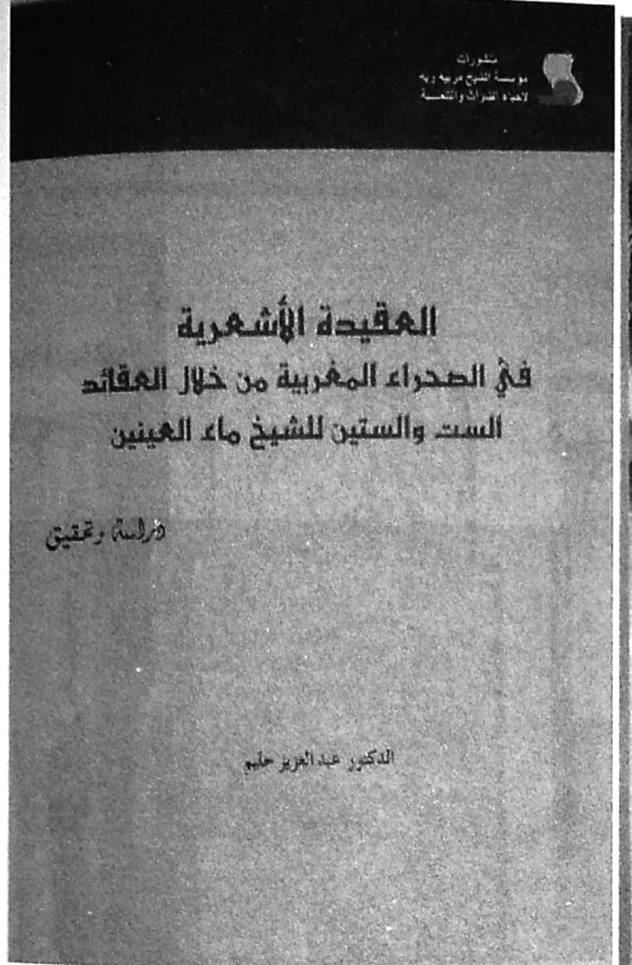
الصفحة الأخيرة من نسخة: صلة المترحم في الحث على صلة الرحم

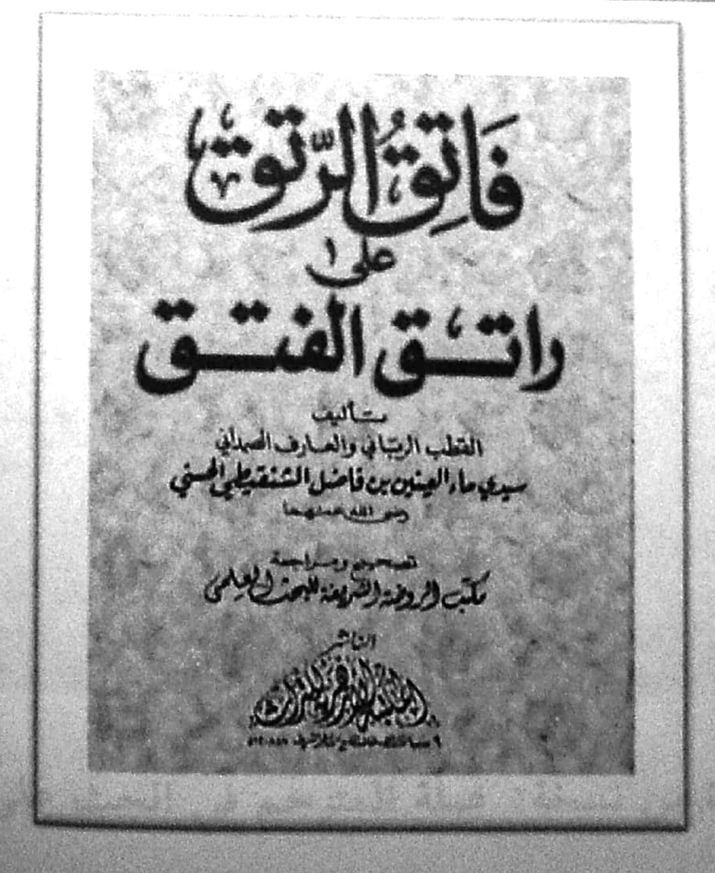

بسم الله الرحمن الرحيم



صور حجرية: من دليل الرفاق على شمس الاتفاق


كتاب
الأقدس
على الأنفس
في أصول الفقه
ويليه
تنوير السعيد
شرح نظم المفيد
في العام والخاص
تأليف
الإمام محمد مصطفى ماء العينين
1328هـ رحمه الله
تحقيق وتعليق
محمد بن أحمد رفيق
تقريظ فضيلة
الدكتور أحمد الريسوني


منشورات
مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتنمية
العقيدة الأشعرية
في الصحراء المغربية من خلال العقائد
الست والستين للشيخ ماء العينين
دراسة وتحقيق
الدكتور عبد العزيز حليم


فاتق الرتوق
على
راتق الفتق
تأليف
القطب الرباني والعارف الصمداني
سيدي ماء العينين بن فاضل الشنقيطي الحسني
رضي الله عنهما
تصحيح ومراجعة
مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي
الناشر

المصادر والمراجع

١- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لمؤلفه عبد السلام بن سوده، تنسيق و تحقيق محمد حجي دار الغرب الإسلامي ط ١، ١٩٩٧م.

٢- أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجري (١٩/ ٢٠م) (مقاربة وتنظير) لمؤلفه محمدن بن أحمد بن المحبوبي. رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية: ٢٠١٢-١٢٥٤.

٣- الأسر العلمية في سوس تنسيق د. المهدي السعيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٤ - ٢٠٠٣، منشورات مجموعة البحث في الأدب العربي السوسي بكلية الآداب.

٤- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: للعباس بن إبراهيم المراكشي بتحقيق عبد الوهاب بن منصور نشر المطبعة الملكية بالربط ١٣٧٧هـ.

٥- أعلام علماء أولاد أبي السباع في موريتانيا، تأليف د. محمد الحسن ولد محمد المصطفى، تقديم د. محمد المختار ولد اباه الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت - لبنان.

٦- بلاد شنقيط المنارة والرباط، للمؤلف الخليل النحوي تونس ١٩٨٧. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٧- تاريخ بلاد شنقيطي- موريتانيا- لمؤلفه حماه الله ولد السالم ط١، ٢٠١٠ دار الكتب العلمية بيروت.

٨- تاريخ خزائن الكتب المغرب د أحمد شوقي بنبين ترجمة مصطفى الطوبي المطبعة والوراقة الوطنية مراكش ط ١: ٢٠٠٣

٩- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من ١٩٠٠ إلى ١٩٧٢، تأليف العلامة المرحوم عبد اللّه بن العباس الجراري، الطبعة الأولى ربيع الثاني ١٤٠٦ - دجنبر ١٩٨٥.

١٠- التفسير والمفسرون ببلاد شتقيط لمؤلفه محمد بن سيدي محمد مولاي دار يوسف بن تاشفين مكتبة الامام مالك ط ١: ٢٠٠٨.

١١- **تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات**، تأليف: عبد الله حمّادي الإدريسي الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م بدار الكتاب الملكي بالجزائر.

١٢- **ثقافة الصحراء**، لمؤلفه عباس الجراري دار الثقافة ١٩٧٨.

١٣- **الجأش الربيط في الدفاع عن مغربية شنقيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط** لمؤلفه محمد الإمام تحقيق: محمد الظريف، مطبعة المعارف ٢٠١٣.

١٤- **الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط** لمؤلفه محمد الحافظ العلوي الشنقيطي ط: ٢ ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١ م. مطبعة المنار.

١٥- **حفريات صحراوية** لمؤلفه عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية، المطبعة الملكية - الرباط.

١٦- **حياة موريتانيا - الجزء الثاني- الحياة الثقافية** الدار العربية للكتاب لمؤلفه المختار بن حامد.

١٧- **دليل الرفاق على شمس الاتفاق** لمؤلفه الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل ابن مامين، تحقيق البلعمشي أحمد يكن الجزءان ١ و ٢.

١٨- **روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين وتخطيط ما فيها من عجيب البنيان** لمؤلفه محمد بن أحمد الإكراري، تحقيق: حمدي أنوش، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

١٩- **الساقية الحمراء ووادي الذهب** الجزء الأول لمؤلفه محمد الغربي، دار الكتاب الدار البيضاء.

٢٠- **سيدي إفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاسبانية** د محمد دحمان سنة ٢٠١٥ مطابع الرباط.

٢١- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** للعلامة محمد بن محمد مخلوف التونسي نشر دار الكتاب العربي بدون تاريخ ببيروت لبنان.

٢٢- **شعر الصحراء**، لمؤلفه عباس الجراري منشورات جامعة ابن زهر مطبعة المعارف ١٩٩٧ م. ط ١ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣- **الشيخ ماء العينين فكر وجهاد.** ندوة علمية بتزنيت ط ١ : ١٤٢١-٢٠٠١ مطبعة النجاح الدار البيضاء.

٢٤- **العقيدة الأشعرية في الصحراء المغربية من خلال العقائد الست والستين للشيخ** ماء العينين دراسة وتحقيق عبد العزيز حليم، مطبعة المعارف الجديدة ط ١ سنة ٢٠١٤ مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث والتنمية.

٢٥- **علماء و أمراء في مواجهة الاستعمار الأوربي.** منشورات مؤسسة مربيه ربه لإحياء التراث ط ٢٠٠٥.

٢٦- **في ثقافة الصحراء مقالات في الأدب والتاريخ والثقافة الشعبية** للمؤلفة العالية ماء العينين، الطبعة الأولى شتنبر ٢٠١٤، منشورات اتحاد المغرب.

٢٧- **المرافق على الموافق** للشيخ أبي مودة الشريف ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين (رحمه اللّٰه) خرج أحاديثه وعلق عليه وضبط نصه أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، المجلد الأول، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٨- **المطبوعات الحجرية في المغرب**، جمع وتقديم فوزي عبد الرزاق، دار النشر المعرفة الرباط.

٢٩- **معجم أسماء المؤلفات الموريتانية المخطوطة**، د إسلم بن السبتي، مطابع المنار نواكشوط سنة ٢٠١٢.

٣٠- **معجم المطبوعات المغربية**، إدريس بن الماحي القيطوني الحسني تقديم عبد اللّٰه كنون مطابع سلا ١٩٨٨م.

٣١- **معجم المؤلفين المعاصرين في آثرهم المخطوطة والمفقودة**، محمد خير رمضان يوسف، الرياض ٢٠٠٤ / ١٤٢٠هـ.

٣٢- **المعسول** لمحمد المختار السوسي مطبعة النجاح الدار البيضاء سنة ١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

٣٣- **المغرب عبر التاريخ** لمؤلفه ابراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء طبعة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣٤- مكانة أصول الفقه في الثقافة المحظرية الموريتانية، لمؤلفه محمد محفوظ بن أحمد، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٥- موسوعة الحركة الوطنية والمقاومين وجيش التحرير بالمغرب، تأليف ونشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، منشورات عكاظ- الرباط- أكتوبر٢٠٠٥/ رمضان. ١٤٢٦

٣٦- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية- معلمة الصحراء- لمؤلفه، عبد العزيز ابن عبد اللّه، مطبوعات وزارة الأوقاف سنة ١٩٧٦م.